



ختمت المقالة الأولى (في هذه الرباعية التي نشرت منها اثنتين، وهذه الثالثة، وبقيت الرابعة أنشرها غداً إن شاء الله) ختمتها بتساؤل: يوشك الخطر الداعشي أن يعود أكبر مما كان، فماذا يصنع المجاهدون؟ ثم أجبت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم: "أينما لقيتموه فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيمة".

وختمت المقالة الثانية بسؤال: ماذا نصنع مع هذه الشجرة الخبيثة؟ ثم أجبت: "لا حل إلا بقلعها من الجذور، لا حل إلا بقتل البغاء الظالمين المعتدلين".

أكمل هنا من حيث انقطعت هناك.

-1-

أخشى أننا لا يزال فينا من يتورع ذلك الورع البارد السخيف المموج ويقول: "كيف أقاتل من يرفع راية التوحيد؟ فلا يزال يتعفف ويتردد حتى يُفْنَى خيَارُ المجاهدين كما حصل مع إخواننا في العراق، وكما حصل في مأساة الجزائر وكارثة الصومال".

أما آن للمجاهدين في سوريا أن يتعلموا من أخطائهم؟ في الخامس عشر من آذار سُلِّمت داعش مقراتها وأسلحتها الثقيلة في الساحل لجبهة النصرة، فسمحت الجبهة للداعش

بالانسحاب إلى الرقة بأسلحتهم الفردية.

بعد ذلك بيومين فجرَت داعش مفخخةً في موقع للنصرة في مركدة، وبعد اثنى عشر يوماً اجتاحت قوةً داعشية كبيرة البلدة فاحتلتها وقتلت خمسين من مقاتلي النصرة والأحرار.

ليست تلك المرة الأولى التي يسمح فيها المجاهدون لقوات داعشية بالمرور الآمن عبر مناطقهم فتجاوزهم داعش بجزء سنمّار، والغريب أن الفصائل التي تحسن معاملة داعش هي دائماً أولى ضحاياها. لا يتعلم المجاهدون أبداً؟ في هجوم داعش الغادر على البوكمال فقد لواء عمر المختار أكثر من عشرين من مجاهديه، وقد لواء القادسية أكثر من ذلك، وكلاهما من الجماعات التي رفضت المشاركة في قتال داعش في الحرب الماضية. بل إن الأول منهما كان تابعاً لحركة أحرار الشام، وعندما غدرت داعش بالأحرار وقتلت منهم مئة وعشرين مجاهداً غدرًا وصبراً أبناء انسحابهم من الرقة فاضطر الأحرار إلى الرد والدفاع عن أنفسهم، عندها أعلن لواء عمر المختار انفصالة عن الأحرار حتى لا يشارك في القتال، لكيلا يقاتل "الإخوة في المنهج" كما أعلن في بيان الورع البارد الذي أصدره يومها، فصار أخيراً من ضحايا داعش في البوكمال.

ومثلهما لواء أويس القرني الذي هادن وسالم واعتزل القتال، فكان من أوائل ضحايا داعش في الرقة بعدما أعادت احتلالها، وسألوا اللواء: أين أميره اليوم؟ وكيف انفرط عقده وأين "تبخر" مقاتلوه؟

وماذا حصل بمطار الطبقة الذي كان اللواء يحاصره قبل أن تضربه داعش الضربة الفاضية فتصادر أسلحته وتسلم قادته للنظام وتشتت مقاتليه؟ بل أسألاً - قبل سوريا - أهل العراق، أسألاً أخلص حلفاء "دولة العراق" وأقربهم إليها في المنهج، جماعة "أنصار الإسلام" التي فتك بها "الدولة" الفتكَةُ الكبرى فقوّضت بنيانها وتعقبت قادتها ومقاتليها بالتفجير الغادر والاغتيال الجبان.

هنيئاً لأصحاب الورع البارد بما جنتْه أيديهم! ليتهم فقهوا أمر كتاب الله إن كان الدواعش بغاة: {فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله}، ول讓他們 فقهوا أمر رسول الله إن كان الدواعش خوارج: "أينما لقيتموه فاقتلوهم، فإن قتلهم أجرٌ لمن قتلهم يوم القيمة".

-2-

كشفت الأحداث الأخيرة في ريف دير الزور أمراً في غاية الخطورة، هو وجود خلايا داعشية نائمة كانت تترقب وتنظر للهجوم الداعشي، ولم تلبث أن انضمت إلى الغزارة فور دخولهم إلى البوكمال، كما تحركت في عدد من القرى والبلدات فتسبيب في فوضى واضطراب في أنحاء الريف الديري كله. هذا الكشف الخطير دقّ أحراجات الخطر في جميع المناطق المحررة، ولا يتسامّ عنه ويتجاهله إلا غافل.

لقد انتشرت داعش في جسم الثورة كما تنتشر الخلايا السرطانية في الجسم السليم، ولم يَعُد يجدي معها علاجٌ سوى البتر والاستئصال.

إنها صيحة إنذار أرجو أن يسمعها إخواننا المجاهدون في غوطتي دمشق الشرقية والغربية وفي مناطق دمشق الجنوبية التي ينتشر فيها عدة مئات من الدواعش، وللأسف فإن السذاجة (التي هي من سمات المسلمين عموماً والتي لا يخلو منها المجاهدون) حملت مجاهدي الغوطة على إحسان الظن بأولئك الدواعش، فتركوهم يعيشون بينهم ويرفعون راياتهم ويتحركون كيف يشاءون، ولم ينتبهوا إلى أنهم قنابل موقوتة يمكن أن تنفجر في أي لحظة وأنهم قدّارون ليس لهم أمان.

الأمر نفسه يقال عن حوران التي تسربت منها مؤخراً أخبار تدعو إلى القلق، فقد ورد أن عدة مئات من الدواعش بدؤوا بالتجمع في منطقة بئر القصب القريبة من اللجاة، وتقول المصادر التي نقلت تلك الأنباء المقلقة أن معسكر الدواعش يقع

قريباً من قطعة عسكرية للنظام، ورغم ذلك فإنه لا يتعرض لأي مضائقات، بل يبدو أنه يتمتع بالرعاية والحماية كما هو شأن في معسكرات داعش ومقراتها التي يرعاها ويحميها النظام في كل الجبهات.

فيما مقاتلی حوران الأشاؤس:

لقد أجزتم الانتصارات العجيبة خلال الشهور الأخيرة لأن ظهركم آمن، فإذا دخلت عليكم داعش الباب خسرتم الأمان وصارت خجراً في الظهر، فعالجو الداء قبل أن يستشرى وينتشر، ولا علاج لهذا الداء الفتاك إلا بالكَي بالنار. ما أعجب أن يسمح المجاهدون ببقاء الدواعش بين أظهرهم بحجة أنهم لا يصدر عنهم ضرر ولا يُتوّقع منهم خطر، وليس تختلف هذه السذاجة عن السماح لبعض عناصر المخابرات الجوية أو بعض مقاتلي حاش بالبقاء في المناطق المحررة بحجة أنهم لا يهدو منهم شر ظاهر! إن الثلاثة (داعش وحالش والنظام) أبناء مدرسة واحدة في الغدر والتقيّة، وهل تتوقعون أن يجهر أي من الدواعش أو الحالش بعدهما وهو في بحر من المجاهدين؟

لكن انتظروا إلى يوم يأتيهم فيه المدد من الخارج أو يشنّ فيه "إخوانهم" في العصابة هجوماً على مناطقكم المحررة، وعندها ستعرفون أن الحياة مع العقارب ليست من أعمال العلاء.

-3-

وصفت في المقالة الأولى (داعش تضرب من جديد) المؤامرة الداعشية الجديدة لإعادة احتلال المناطق التي فقدتها في الحرب الماضية، وأثبتت في المقالة الثانية (داعش والنظام: وجهان لعملة واحدة) توافق داعش وتعاونها مع النظام وتعاون النظام معها في قتال المجاهدين وإجهاض الثورة. فكيف يمكن إفشال مؤامرة داعش، وكيف نستطيع وقف شرها وبغيها وتمددها في المناطق المحررة؟

في الرابع والعشرين من شباط وعلى إثر مجزرة تل برال أعلنت بعض عشائر الحسكة تشكيل "جيش ثوار العشائر" لمواجهة ميليشيا وحدات الحماية الشعبية التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، وفي السادس عشر من نيسان اتفقت مجموعة من عشائر دير الزور على حشد آلاف المقاتلين لوقف البغي والعدوان الداعشي على مدن وأرياف المحافظة. هذا هو الحل، فحيث إن الفصائل الكبرى مشغولة بالقتال في جبهات متعددة ومتباعدة فإن المصلحة تقضي إنشاء قوة عسكرية محلية في كل منطقة تتعرض للخطر الداعشي، فتجمع كتائب الباب ومنبج والراعي وجرابلس وما حولها وتؤسس غرفة عمليات مشتركة للدفاع عن الريف الحلبي الشرقي، وتشترك عشائر دير الزور والحسكة والرقة في إنشاء "جيش العشائر الحر" لتحرير المنطقة الشرقية وحمايتها من خطر داعش والنظام، كما صنع إخوانهم في عشائر الأنبار حين كونوا جيشاً عشائرياً مستقلاً استطاع حماية المناطق السنية من العدوين الكبارين: داعش الباغية وجيشه الملكي الطائفي.

أسرعوا -يا نشامي الفرات- في تأسيس هذا الجيش، ول يكن جيشاً حقيقياً منظماً يضم عشائر دير الزور والحسكة والرقة جميعاً، وأخرجوا الخوارج من أرضكم، فإنهم خطر داهم وهو دائم وإنهم يفسدون ولا يصلحون. واسمعوا ما يقولونه في بعض حساباتهم التويترية: "الخير آت قريباً في ولاية الخير، في البوكمال والميادين والقويرية والشحيل، سنأتيهم بليلة مظلمة وسنجعل أعزء أهلها أذلة"... بل خسروا وخسروا باتحادكم وجهادكم، قتلهم وأنذلهم الله.

أخرجوا الدواعش من أرضكم، ولاحقوهم إلى "ولاية البابية" التي صارت مستقرًا لهم ومستودعاً لقوتهم ومقاتليهم. قاتلواهم في الحميمة والرصافة، وفي الزَّملة التي يتجمعون فيها وينطلقون منها لتنفيذ الغارات الجبانة والهجومات الغادرة على دير الزور، فإن بقاء تلك البؤر الداعشية سالمٌ سيهدد الشرق السوري كله على المدى البعيد.

-4-

فيما تصدرَ لقتال داعش عددٌ كبير من الكتائب المحلية في الحسكة والرقة ودير الزور، بالاشتراك مع جبهة النصرة وأحرار الشام، اختارت كتائبُ أخرى أن ترابط في جبهات أكثر أهمية، آبار النفط التي صارت تلك الكتائبُ أكثر اهتماماً بها منها بقتال داعش أو بقتل الأسد! هذه الكتائب لا تحتاج إلى دروس في الإيمان ولا إلى دروس في الوطنية، إنها تحتاج إلى دروس في الحكم والمصلحة فحسب.

صحيحُ أنكم - يا كتائب النفط - ترابطون على آباركم سالمين وتُروحون كل يوم غانمين، وغيركم من شرفاء الكتائب والمجاهدين يتعرضون لنار النظام من هنا ولنار داعش من هناك فيقدمون كرائمَ الأنفس والأموال ويُصابون ويُصيرون، ولكنهم - على التحقيق - هم الفائزون وأنتم الخاسرون، لأن تقاعسكم عن قتال العدو بظرفِه، داعش والنظام، سوف يتسبب في خلخلة الصدوق وتهاوي الجبهات، وعندئذ سوف تكونون أنتم أولَ الخاسرين. فإذا انتصرت الكتائب الشريفة (وهي منصورة بإذن الله) فأرجو أن يكون عقابكم على رأس أولوياتها، ولو أنها انكسرت (لا قدر الله) فلن تجدوا عاصماً يعصكم غداً من داعش ومن النظام. أنتم الخاسرون في كل حال، فتوبوا إلى الله وعودوا إلى الجهاد الصادق وضعوا أيديكم في أيدي إخوانكم المخلصين الشرفاء قبل فوات الأوان.

* * *

كلمة أخيرة أوجبتها المناسبة: إن النفط ثروة للسوريين جميعاً، ومن حق سكان الشرق السوري الذين يقومون على استخراجه وعلى تكريره وتسويقه وحمايته أن يكون لهم نصيب متميز من هذه الثروة، على أن توزع توزيعاً عادلاً ولا تستأثر بها جماعات أو عشائر أو كتائب محددة دون غيرها، كما أن من حق عامة السوريين أن يكون لهم نصيب فيها أيضاً.

إذا نشأ "جيش العشائر الحر" الصالح الذي نرجوه فإنه لن يكون مسؤولاً عن حماية المحافظات الشرقية من داعش والنظام فحسب، بل ينبغي أن يكون له أيضاً سلطان كامل على حقول النفط وآباره وحرّاقاته جميعاً. ويتوجب عليه أن يستعين بأهل الخبرة لتطوير أعمال الاستخراج والتكرير، فيستبدل وسائل آمنة حديثة بالوسائل البدائية التي تضرّ الإنسان والحيوان والزرع والبيئة، ثم يقطع نصف العائدات فيقدمها للمناطق السورية التي لا نفط فيها، ويصرف نصفها الآخر في تمويل الكتائب المحلية والإتفاق على المشروعات الإغاثية التي تصلح معاش الناس في الجزيرة السورية.

هذا اقتراحٍ أقدمه مخلصاً محتسباً لا أرجو به سوى الخير لأهل الشرق السوري خاصة وللسوّريين كلهم عامة، وأدعوا الله أن يشرح له الصدور وأن يسخر لتنفيذ كلّ قويٍّ أمينٍ من أهلاً المكرّمين في الحسكة والرقة ودير الزور.

(التكلمة في المقالة القادمة إن شاء الله)

الزلزال السوري

المصادر: